(والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين [58] الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون [59]) عطف على جملة (والذين آمنوا بالباطل) .

وجيء بالموصول للإيماء إلى وجه بناء الخبر أي نبوئهم غرفا لأجل إيمانهم وعملهم الصالح .

والتبوئة : الإنزال والإسكان وقد تقدم عند قوله تعالى (ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوا صدق) في سورة يونس .

وقرأ الجمهور (لنبوئنهم) بموحدة بعد نون العظمة وهمزة بعد الواو . وقرأ حمزة والكسائي وخلف (لنبوينهم) بمثلثة بعد النون وتحتية بعد الواو من أثواه بهمزة التعدية إذا جعله ثاويا أي مقيما في مكان .

والغرف : جمع غرفة وهو البيت المعتلى على غيره . وتقدم عند قوله تعالى (أولئك يجزون الغرفة) في آخر سورة الفرقان .

وجملة (نعم أجر العاملين) الخ إنشاء ثناه وتعجيب على الأجر الذي أعطوه فلذلك قطعت عن العطف .

وقوله (الذين صبروا) خبر مبتدأ محذوف اتباعا للاستعمال والتقدير : هم الذين صبروا .

والمراد : صبرهم على إقامة الدين وتحمل أذى المشركين وقد علموا أنهم لاقوه فتوكلوا على ربهم ولم يعبأوا بقطيعة قومهم ولا بحرمانهم من أموالهم ثم فارقوا أوطانهم فرارا بدينهم من الفتن .

ومن اللطائف مقابلة غشيان العذاب الكفار من فوقهم ومن تحت أرجلهم بغشيان النعيم المؤمنين من فوقهم بالغرف ومن تحتهم بالأنهار .

وتقديم المجرور على متعلقه من قوله (وعلى ربهم يتوكلون) للاهتمام .

وتقدم معنى التوكل عند قوله تعالى (فإذا عزمت فتوكل على ا) في سورة آل عمران .

(وكأين من دابة لا تحمل رزقها ا يرزقها وإياكم وهو السميع العليم [60]) عطف على جملة (كل نفس ذائقة الموت) فإن ا لما هون بها أمر الموت في مرضاة ا وكانوا ممن لا يعبأ بالموت علم أنهم يقولون في أنفسهم : إنا لا نخاف الموت ولكنا نخاف الفقر والضيعة . واستخفاف العرب بالموت سجية كما أن خشية المعرة من سجاياهم كما بيناه عند قوله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق) فأعقب ذلك بأن ذكرهم بأن رزقهم على ا وأنه لا يضيعهم . وضرب لهم المثل برزق الدواب وللمناسبة في قوله تعالى (إن أرضي واسعة) من توقع الذين

يهاجرون من مكة أن لا يجدوا رزقا في البلاد التي يهاجرون إليها وهو أيضا مناسب لوقوعه عقب ذكر التوكل في قوله (وعلى ربهم يتوكلون) وفي الحديث " لو توكلتم على ا حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا " .

ولعل ما في هذه الآية وما في الحديث مقصود به المؤمنون الأولون ؛ ضمن ا لهم رزقهم لتوكلهم عليه في تركهم أموالهم بمكة للهجرة إلى ا ورسوله . وتوكلهم هو حق التوكل أي أكمله وأحزمه فلا يضع نفسه في هذه المرتبة من لم يعمل عملهم .

وتقدم الكلام على (كأين) عند قوله تعالى (وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير) في سورة آل عمران .

هو بل الحكم إفادة منه مقصود غير خبر (رزقها تحمل لا دابة من وكأين) وقوله A E مستعمل مجازا مركبا في لازم معناه وهو الاستدلال على ضمان رزق المتوكلين من المؤمنين . وتمثيله للتقريب بضمان رزق الدواب الكثيرة التي تسير في الأرض لا تحمل رزقها وهي السوائم الوحشية والقرينة على هذا الاستعمال هو قوله (ا يرزقها وإياكم) الذي هو استئناف بياني لبيان وجه سوق قوله (وكأين من دابة لا تحمل رزقها) ولذلك عطف (وإياكم) على ضمير (دابة) . والمقصود : التمثيل في التيسير والإلهام للأسباب الموصلة وإن كانت وسائل الرزق مختلفة .

والحمل في قوله (لا تحمل رزقها) يجوز أن يكون مستعملا في حقيقته أي تسير غير حاملة رزقها لا كما تسير دواب القوافل حاملة رزقها وهو علفها فوق ظهورها بل تسير تأكل من نبات الأرض : ويجوز أن يستعمل مجازا في التكلف له مثل قول جرير : .

" حملت أمرا عظيما فاصطبرت له أي لا تتكلف لرزقها . وهذا حال معظم الدواب عدا النملة والفارة قيل وبعض الطير كالعقعق